

اسم المادة: مقدمة: فضل تعلم ودراسة الاعتقاد

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: مقدمة: فضل تعلم ودراسة الاعتقاد
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وهو يتولى الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أرسله ربه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فاللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته واتبع هداه إلى يوم الدين. أما بعد؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأهلا ومرحبا بكم أيها الإخوة الأكارم، وهذه رحلة جديدة نسأل الله –عز وجل– أن نصحبها بخير، وأن نكون من أهلها وهي من أجل الرحلات، إنها العمر كله، إنها قضية الحياة والممات، إنها قضية السعادة والشقاء، إنها الفوز أو الخسران، إنها قضية الإيمان والتوحيد. إن شاء الله –عز وجل– سنبدأ بعد هذه الحلقة التي سنقدم فيها بمقدمات عن فضل دراسة أمور التوحيد والإيمان؛ نبدأ رحلة في دراسة العقيدة التي ينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يعتقدوها، وأن يحيوا بها، وأن يعملوا من أجلها حتى يلقوا ربهم –سبحانه وتعالى–.

قضية التوحيد كما ذكرنا هي قضية الوجود التي قال الله –عز وجل– في شأنها: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ" الذاريات٥٦:٥٧.

وقال العلماء إن أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة العلم والإيمان، وهو الأمر الذي من أجله أوجد الله –عز وجل– الخلق، وقامت سوق الجنة والنار، وانقسمت الخليقة من أجله إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، وهو الذي جُردت من أجله السيوف للجهاد وهو حق الله على جميع العباد. فقضية التوحيد وقضية الإيمان وقضية العقيدة هذه هي لب الدين، ولا يمكن أن يتصور هناك دين من غير أن يكون هناك أصل له وأساس وهو الإيمان والتوحيد لله –تبارك وتعالى–.

فكما ذكرت بأننا نريد في هذه الدقائق المعدودات أن نتحدث عن فضل هذا الأمر، وأهمية هذا الأمر، ومركزية هذا الأمر، وأنه لا غنى لمسلم أبدًا أن يتعلم أمور التوحيد والإيمان وأن يصحح اعتقاده وأن يرسخ منه هذا الاعتقاد.

فالتوحيد هو حقيقة دين الإسلام لأن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين: ألا نعبد إلا الله والأصل الثاني ألا نعبده إلا بما شرع –سبحانه وتعالى–، فعلى قدر علمك بتوحيد الله –سبحانه وتعالى– وعلى قدر ترسيخك لهذا الإيمان بهذا التوحيد يكن حظك من الإسلام ومن هذا الدين العظيم.

الأمر الثاني أنت ما خلقت في هذه الدنيا إلا لتوحد ربك وإلا لتفرده في العبادة، وإلا لتقطع زهرة عمرك في هذه العبادة "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" الأنعام١٦٢:١٦٣.



وقال الله –تعالى–: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" جاء في تفسيرها إلا ليوحدون، والتوحيد هو دعوة الرسل جميعًا، قال الله –تعالى–: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" الأنبياء:٢٥.

وقال الله –تعالى–: "يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ" النحل:٢.

الأمر الذي بعد ذلك أن الرسل كانوا يبدأون دعوتهم بهذا الأمر لأنه صلب الدين وعظم الدين وهو الذي حصل فيه الخلاف بين الرسل وبين أقوامهم عادة، فكانوا يبدأون بدعوة الناس، ما من نبي ولا رسول أرسله الله إلى قومه إلا وابتدأهم بقوله: "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" هود:٨٤.

والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان يرسل أيضًا الدعاة من قبله كما أرسل معاذًا، وأبا موسى الأشعري إلى بلاد اليمن فأوصى معاذ –رضي الله تعالى عنه– بقوله: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" الحديث متفق عليه.

كذلك أيضًا القرآن الكريم كله دعوة إلى توحيد الله والإيمان به، بل كل آية من آيات الكتاب العزيز متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن:

– إما خبر عن الله وهذا توحيد أو عن أسمائه وصفاته وأفعاله فهذا هو التوحيد العلمي الخبري.

– وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي.

– وإما أمر وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهذا من حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله –سبحانه وتعالى– والثواب الذي أعطاه لأهل التوحيد وأهل الطاعة وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهذا هو جزاء التوحيد.

– وعلى النقيض والعكس إما خبر عن الشرك وأهله وما يفعل الله –عز وجل– بهم وما ينكل بهم في الدنيا قبل الأخرى، وما يحل بهم من العذاب فهو خبر عمن خرج حكم التوحيد.

إذًا القرآن الكريم كله داعٍ إلى توحيد الله –عز وجل– وكل آية فيه شاهدة ومتضمنة لهذه القضية العظيمة.

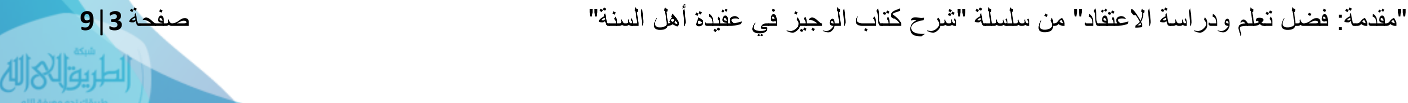
الأمر السادس أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– من بعثته إلى مماته كل دعوته إلى توحيد الله وعبادته وإفراده –عز وجل– بالوحدانية ونبذ الشرك لأنه من أعظم الذنوب التي يُعصى الله –عز وجل– بها، فدعوته –عليه الصلاة والسلام– وتربيته لأصحابه وقاتل من أجله –صلى الله عليه وسلم– وأمر الناس أن يحبوا في الله وأن يبغضوا فيه –عز وجل– وأن يحيوا وأن يموتوا من أجل هذه القضية العظيمة.

روى البخاري في صحيحه في صفة النبي –صلى الله عليه وسلم– الموجودة في التوراة. فعن عطاء بن يسار رحمه الله –تبارك وتعالى– قال: "لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، قُلتُ: أخْبِرْنِي عن صِفَةِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في التَّوْرَاةِ، قالَ: أجَلْ؛ واللَّهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاةِ ببَعْضِ صِفَتِهِ في القُرْآنِ: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا" الأحزاب:٤٥، وحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أنْتَ عَبْدِي ورَسولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، ليسَ بفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ، ولَا سَخَّابٍ في الأسْوَاقِ –يعني لا يرفع صوته كما نرى أهل السوق يرفعون أصواتهم من غير داعٍ– ولَا يَدْفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يَعْفُو ويَغْفِرُ، ولَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حتَّى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بأَنْ يَقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويَفْتَحُ بهَا أعْيُنًا عُمْيًا، وآذَانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلْفًا"[١]، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الدين الذي جاء به "إنّي بُعثتُ بالحنيفيَّةِ السَّمحةِ"[٢] وهو حقيقة التوحيد كما قال الله –تعالى–: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" آل عمران:٦٧.

---

[١] صحيح البخاري

[٢] أخرجه الطبراني



وكان همه –صلى الله عليه وسلم– في دعوته بهذه القضية المركزية العظيمة أنه كان يرسل إلى الملوك يدعوهم إلى توحيد الله وإلى إسلام الوجه له، في البخاري وغيره أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أرسل مع دحية الكلبي –رضي الله عنه– إلى هرقل ملك الروم –معروف الروم طبعًا كانت إحدى القوتين العظيمتين في عصره –صلى الله عليه وسلم– وتقابلها فارس–، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه الرسالة: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِن مُحَمَّدٍ عبدِ اللَّهِ ورَسولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ علَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أمَّا بَعْدُ، فإنِّي أدْعُوكَ بدِعَايَةِ الإسْلَامِ، أسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ –لأنه كان على ملة النصارى ومن المعروف أن من كان من أهل الكتاب فأسلم بالنبي –صلى الله عليه وسلم– فإن الله –عز وجل– يعطيه أجره مرتين، كما في قوله –عز وجل–: "وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا" القصص٥١:٥٤.

فنص النبي –صلى الله عليه وسلم– على هذا الأمر أيضًا، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– لهرقل: "أسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إثْمَ الأرِيسِيِّينَ"[٣] وجاء في تفسيره أنهم الأكارين أو الضعفاء والناس على دين ملوكهم ورؤسائهم وكبرائهم عادةً، كما في قوله –تعالى–: "وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا" الأحزاب٦٧:٦٨.

وكثير من الآيات التي جاءت في المناظرات التي يتلاعن فيها ويقذف بها كل فريق إلى الآخر بالتهمة وأنه كان سبب إضلاله ومصيره إلى هذا المصير البائس الشقي "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" آل عمران:٦٤، والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا جاءه الوفد أيضًا كان يقول لهم: آمركم بالإيمان بالله وحده كما قال لوفد عبد القيس وغيرهم، "قالَ: أتَدْرُونَ ما الإيمانُ باللَّهِ وحْدَهُ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ"[٤] الحديث

وكان –عليه الصلاة والسلام– يقاتل من أجل هذا التوحيد وهذا الإيمان قال –عليه الصلاة والسلام–: "بُعِثْتُ بين يدي الساعةِ بالسَّيفِ، حتى يُعبَدَ اللهُ تعالى وحده لا شريكَ له"[٥] وقال: "أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ"[٦].

وكان عليه الصلاة والسلام يبايع على هذا الأمر كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي –رضي الله عنه– قال: "بايعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والنصح لكل مسلم" وهو في الصحيح.

وفي حديث عبادة بن الصامت –رضي الله تعالى عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "تَعَالَوْا بَايِعُونِي علَى أنْ لا تُشْرِكُوا باللَّهِ شيئًا"[٧].

وكذلك كانت صلاته –عليه الصلاة والسلام– كلها توحيد، كانت زكاته كلها توحيد، كان حجه وعمرته وصومه وأذكاره وأدعيته في الحِل والترحال والنوم واليقظة كلها مشتملة على توحيد الله –عز وجل–، ونفي الحول والقوة، والعود والتوبة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

---

[٣] صحيح البخاري
[٤] صحيح البخاري
[٥] صحيح الجامع
[٦] صحيح البخاري
[٧] صحيح البخاري



وكان أيضًا تحذيره لأمته –صلى الله عليه وسلم– أشد ما يكون حينما يتعلق الأمر بجناب التوحيد، فكان يسد كل أبواب الشرك التي يدخل منها الناس إلى عبادة غير الله –سبحانه وتعالى–، فانظر إلى أحاديثه في حرمة دعاء غير الله أو الاستعانة بغيره أو التوكل بسواه –عز وجل– ومن هذا تحذيره من ادعاء علم الغيب، ونحن في هذه الأوقات بمناسبة ما يقال برأس السنة وكذا وقدوم عام إفرنجي جديد يخرج المنجمون والعرافون على الناس بما سيكون من أحداث والله –عز وجل– يعلم الغيب لا أحد يعلمه غيره –سبحانه وتعالى– إلا ما أطلع الله من نفر من عباده على هذا الأمر، وأما هؤلاء المنجمون فإنهم كذابون أفّاقون، ليس عندهم علم على ما يقولون ولا برهان حتى وإن كانوا يستعطون هذه الأمور من اتصالهم بالجن وغير ذلك، فالسماء محروسة لا يستطيع أن يصل إلى خبر السماء إلا مردة الجن ويقذفون بالشهب ويحرقون.

فينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يتحرز من السماع لهؤلاء لأن هذا الأمر قد يخطف ببعض القلوب ويظن صدق هؤلاء وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– حينما سُئل عن هذا الأمر الذي يعن لكثير من الناس أنهم يخبرون بالشيء فيكون، عن الجن يعني والعرافين والكهان، فقال النبي –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني –أي من خبر السماء حينما يتسمعون إلى الملائكة وهم يتحدثون فيما بينهم بما سينزل من المقادير على بني آدم– فيعطيها إلى من تحته وهكذا يتداولون الكلمة سريعًا مخافة أن تأتي الشهب من السماء فتحرقهم، فإذا وصل أحدهم بالكلمة من خبر السماء قذفها وقر بها في أذن وليه، فيخبر بها ولكنه يزيد قبلها خمسين كذبة وبعدها مثل ذلك فإذا وقع الشيء الواحد الصادق صدّق الناس كل هذا الكذب الذي افتراه هذا الكاهن وغير ذلك. ولذلك نهانا النبي –صلى الله عليه وسلم– عن ذلك فقال: "من أتى كاهنًا أو عرافًا فقد كفر بما أنزل على محمد –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–". فكل أمور السحر والكهانة وادعاء الغيب كما نرى أنت والنجوم، وحظك اليوم، وضرب الودع، وقراءة الفنجان، وفتح المندل وقراءة الكف كل هذه أمور محرمة وتدخل الناس في الشرك وما ينبغي لمسلم أبدًا أن يتعاطاها أو يسمع لأهلها.

وكذلك الرقى المحرمة، ووضع التمائم؛ خمسة وخميسة وامسك الخشب والخرزات الزرق وغير ذلك. وتلاقي بعض الناس عندهم عربيات أو شيء من المال في المحلات يضعون بعض الأحذية تعليقًا يقول لك حتى تأخذ بعين الحاسد، كل ذلك لا يغني عن العبد شيء "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" التوبة:٥١.

كذلك أيضًا من أهمية دراسة العقيدة أنها تُثَبِّت المعاني الصحيحة عند صاحبها حتى تصير راسخة لا يمكن لأحد أن يزحزحه عنها أو أن يشككه فيها أبدًا، ولذلك فهذه من بركات دراسة أمور الإيمان والاعتقاد الصحيحة حتى يكون العبد في منأى عن الشبهات التي ترد، وما أكثر الشبهات في زماننا وما أكثر المواقع الإلحادية التي تبث لفتنة الناس ولسلخهم من دينهم وإخراجهم من النور إلى الظلمات.

فلذلك قال الله –تعالى– مبينا للفارق العظيم بين هذا الذي هو على هدى وبين الذي لا يدري من أمره شيئًا مرتاب محتار: "أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" الملك:٢٢. وقال الله –تعالى–: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" التوبة:١٠٩.

فمن الذي يجيبك عما تلقاه بعد وفاتك؟ لا أحد يستطيع أن يتخيل ما يكون للإنسان بعد الوفاة، إن الشرع وإن العقيدة هي التي تعرفك أن بعد هذه الحياة هناك وفاة، وبعد هذه الوفاة حياة برزخية، ثم بعثٌ ونشور وحساب وجزاء وصحف وموازين وجنة ونار ونعيم وعذاب، كل ذلك من عالم الغيب أخبرنا الله –سبحانه وتعالى– به في كتابه.

وأما الذين لا يؤمنون بهذه العقائد الصحيحة ولا يعتقدون بصحة ما جاء به الكتاب العزيز، ولا بأحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– فانظر إلى أحدهم وهو يخبط خبط عشواء ويرتاب ولا يقر له قرار ولا يعرف أي هذه الأمور هي الصواب.

هذا الشاعر المشهور إيليا أبو ماضي الشاعر اللبناني المشهور له ديوان اسمه طلاسم يقول:

جِئتُ لا أَعلَمُ مِن أَين وَلَكِنّي أَتَيتُ



وَلَقَد أَبصَرتُ قدّامي طَريقاً فَمَشَيتُ
وَسَأَبقى ماشِياً إِن شِئتُ هَذا أَم أَبَيتُ
كَيفَ جِئتُ كَيفَ أَبصَرتُ طَريقي لَستُ أَدري
أَجَديدٌ أَم قَديمٌ أَنا في هَذا الوُجود
هَل أَنا حُرٌّ طَليقٌ أَم أَسيرٌ في قُيود
هَل أَنا قائِدُ نَفسي في حَياتي أَم مَقود
أَتَمَنّى أَنَّني أَدري وَلَكِن لَستُ أَدري

إلى أن يقول:

أَوراءَ القَبرِ بَعدَ المَوتِ بَعث وَنُشورُ
فَحَياةٌ فَخُلودُ أَم فَناء وَدُثورُ
أَكَلامُ الناسِ صِدقٌ أَم كَلامُ الناسِ زورُ
أَصَحيحٌ أَنَّ بَعضَ الناسِ يَدري لَستُ أَدري
إِن أَكُن أُبعَثُ بَعدَ المَوتِ جُثمانا وَعَقلاً
أَتُرى أُبعَثُ بَعضاً أَم تُرى أُبعَثُ كُلّاً
أَتُرى أُبعَثُ طِفلاً أَم تُرى أُبعَثُ كَهلاً
ثُمَّ هَل أَعرِفُ بَعدَ المَوتِ ذاتي لَستُ أَدري

وظل هكذا يقول لست أدري لست أدري لست أدري حتى إن مات على هذه العقيدة يقال له في قبره لا دريت ولا تليت، لا دريت ولا تليت، وقد أخذوا هذا الأمر عن كبيرهم الفيلسوف المشهور سقراط الذي كان يقول بصريح العبارة: "الشيء الذي لا أزال أجهله جيدًا أنني لست أدري".

أما صاحب العقيدة فإنه يدري بما أدراه الله، وبما بين له رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فهو بمنأى تمامًا عن هذه الحيرة وهذه الشكوك وهذا التخبط وهذا التحير، ولله الحمد والمنة. فليس عندهم شك في هذه الأمور لأنهم صدّقوا ربهم وصدّقوا الأنبياء والرسل، كما قال الله –تعالى– نافيًا عن المؤمنين الصادقين الشك والريب: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا" الحجرات:١٥، فليس ولله الحمد شك، فمن الذي يحرس عليك دينك وعملك الصالح إلا التوحيد والإيمان؟ ومن الذي يحفزك على طلب رضا الله إلا التوحيد والإيمان؟ ومن الذي يجعلك تصبر على ما تلقى من الناس من أذى بسبب دينك إلا هذا التوحيد والإيمان؟ وعدد ما شئت أيها الحبيب.

الأمر الذي نريد أن ننبه عليه أن دراسة العقيدة لا يُتصور فيها أن يقبل عليها الإنسان أنه يحفظ مجموعة من النصوص ومجموعة من الضوابط ومجموعة من القواعد وخلاص يبقى كده راجل موحد، راجل مؤمن، راجل في أعلى مقامات الديانة، هذا خطأ بين تمامًا. نعم أنت تعرف الآيات وتعرف الأحاديث وتعرف الضوابط وتعرف القواعد لكن هذه النصوص هي حية تحييها في قلبك، وتحييها في عملك، وفي أخلاقك، وفي عبادتك، وفي معاملاتك، وفي رضاك وغضبك، وفي طاعتك ومعصيتك، وفي إقبالك وإدبارك، ونشاطك وكسلك، في كل حياتك لابد أن تنفخ الروح في هذه النصوص حتى تنفعل بها وتعمل بها إلى ما شاء الله –تبارك وتعالى–.

فأما أن يدرس الناس هذا الباب العظيم أصل الدين ولبه وخلاصته كنصوص فقط فهذا جافة تُحفظ في الأذهان لا تنفعل بها القلوب ولا تعمل بلوازمها الجوارح فهذا خطأ بين.



ولذلك وصل الأمر ببعض الناس إن هو يسمي علم التوحيد والإيمان علوم الكلام وهذا من شؤم التسمية والخروج عن التسميات الشرعية إلى غيرها بما لا يرضي الله –سبحانه وتعالى–، وشفنا العلماء أساطين العلماء الكبار كيف طوفوا في علوم الكلام والفلسفة وأدخلوا هذه الأمور في النصوص الشرعية فما ازدادوا إلا حيرة، والمنجى من نجاه الله –سبحانه وتعالى– وسلمه وعافاه فاستدرك في أواخر عمره وعاد إلى الطريق الذي خرج عنه، ومن درس سيرة الفخر الرازي وكيف ندمه على الطريق الذي قطعه، والإمام أبي حامد الغزالي، والإمام أبي المعالي الجويني، وغيرهم من أساطين العلماء الكبار الذين أدخلوا علوم الكلام في مسائل الاعتقاد والإيمان فما وجدوها تشفي غليلاً، ولم يجدوا فيها ريًا ولا راحة، والمفترض أن كل ما الإنسان ازداد براهين وأدلة صحيحة كلما ازداد إيمانه وابتعد عن الشك والحيرة.

ولذلك إن هي كما ذكرنا هي قضية العمر وقضية الحياة والممات وما أحسن ما فعل الإمام ابن قيم الجوزية –رحمه الله تبارك وتعالى– حينما صنف كتابه مدارج السالكين في بيان منازل إياك نعبد وإياك نستعين كان من فقه الإمام ابن القيم –رحمه الله– في هذا الكتاب وله كلام رائق جدًا، نعم هناك بعض الهنات التي أحيانًا كان يسترسل فيها مع الإمام الهروي –رحمه الله– لبيان الصواب من الخطأ فقد يذكر بعض العبارات التي لا تروق لبعض الناس، لكن الكتاب كتاب عظيم في بابه ولا يستغني عنه سالك إلى الله –تبارك وتعالى– فضلاً عن طالب علم.

فلذلك ابتدأ هذا الكتاب الذي طَبعاته ثلاث مجلدات وبعض طبعاته خمس وأقل وأكثر بالكلام على التوحيد وشأن التوحيد وتعظيم شأن التوحيد، وتكلم على الأمور المهمات التي تُستنبط من فاتحة الكتاب، ثم بعد أن مضى في المنازل منزلة منزلة جاء في نهاية الكتاب وقال المنزلة السادسة والتسعون والأخيرة وعنونها بالتوحيد، فكأن حقيقة أنت تبدأ بالتوحيد وتنتهي بالتوحيد وقد ذكرنا الآية في بداية هذا اللقاء: "قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي –أي وما بينهما– لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ".

احذر نفسي وإخواني أن تتحول قضايا العقيدة والإيمان إلى مجرد مجموعة من الكلاميات والخصومات والردود ذهابًا وإيابًا، فالعقيدة الصافية لا تحتمل مثل هذا ومن المعروف أن الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– هم مدرسة القول الواحد في العقيدة ليس ثَمَّ اختلاف، وإن حدث اختلاف فبسبب بعض المواقف مع أهل البدع، أما العقيدة الراسخة وأصول هذه العقيدة فالله الحمد والمنة ليس بين الصحابة فيها اختلاف.

كذلك أيضًا من بركات دراسة العقيدة والتزام العقيدة وفضائل العقيدة ومسائل الإيمان والتوحيد أنها تحرر عبودية صاحبها من كل عبودية سوى عبوديته لله –سبحانه وتعالى–، ولذلك لما كان ربنا –سبحانه وتعالى– بيمدح أحد من أنبيائه أو رسله أو غير ذلك يقول نِعم العبد أي هو العبد الخالص، وهكذا تكون العبودية، ومن أراد أن يكون عبدًا لي ويمدح كما مدحت هذا فليلتزم ما كان يفعل ويقول. وهكذا أيضًا فالتوحيد والإيمان من بركاته.

قال الله –تعالى–: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ" الأنعام:٨٢، وكذلك أيضًا التوحيد يمنح صاحبه راحة البال وأن يوحد همه في طلب مرضاة مولاه، وأن يبتعد عن مساخطه سبحانه، وانظر إلى هذا المثل الذي ضربه الله –سبحانه وتعالى– للمؤمن الموحد وللشقي التعيس المشرك الذي شتت قلبه وفرق قلبه بين هذه الآلهة الكثيرة، قال الله –تعالى–: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ" يعني ضرب الله –سبحانه وتعالى– مثلا، واحنا لما بنقول مثل لابد أن تعتبر لأن هذه الأمثال التي ضربها الله –سبحانه وتعالى– ينبغي للناس أن يعقلوها، بل أعقل الناس هم الذين يتفقهون ويعتبرون بهذه الأمثال، "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" العنكبوت:٤٣، "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ لو كان الأمر مجرد عبد هو شركة لأكثر من سيد لكنهم متفقون فيما بينهم بمعنى أنهم وكلوا واحدًا منهم يأمر وينهى هذا العبد لربما كان هناك نوع من الراحة، لكن للأسف هذا العبد شركة لأسياد متشاكسون مختلفون، رضا هذا يغضب هذا، وما يأمر به هذا ينهى عنه هذا، وهكذا فإن هذا العبد مهما بذل لإرضاء أسياده فإنه لا يصل إلى رضاهم جميعًا، "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ" فهذا العبد من أتعس العبيد وأشقاهم ولا يستطيع أن يقوم بالخدمة على الوجه الصحيح، "وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ



يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" الزمر:٢٩، وقال يوسف –عليه السلام–: "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" يوسف:٣٩.

ومن بركات التوحيد أيضًا أنه سبب للسعادة العظمى في الدنيا والأخرى قال الله –تعالى–: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" النحل:٩٧، وقال الله –تعالى–: "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى" طه:١٢٣، وقال –صلى الله عليه وسلم–: قال الله –تعالى– في حديثه: "يا ابنَ آدمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَني لا تُشْرِكْ بِيْ شَيْئًا لأتيْتُكَ بِقرَابِها مَغْفِرَةً"[٨].

كذلك أيضًا التوحيد والإيمان هو السبب الأصيل والأوحد في نجاة العبد من النار، وفوزه بجنة الله –تبارك وتعالى–، قال الله –تعالى–: "يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" الشعراء:٨٩. وقال –سبحانه–: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل:١٢٠. وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَن شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ علَى ما كانَ مِنَ العَمَلِ" متفق عليه. وفي رواية "أدخله الله مِن أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، أَيَّهَا شَاءَ" رواه مسلم.

وعند البخاري من حديث عتبان فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله. في حديث ابن عباس "عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط" الحديث، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم بين النبي –صلى الله عليه وسلم– من هم فقال: "الَّذين لا يسترْقونَ ولا يكتَوونَ ولا يتطيَّرونَ –يعني لا يتشاءمون– وعلى ربِّهم يتوكَّلونَ"[٩]

وفي حديث مسلم من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَن لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به دَخَلَ النَّارَ"[١٠] رزقنا الله الجنة وأعاذنا وإياكم من النار.

هناك فضائل كثيرة وحتى لا نطيل على حضراتكم نجمل بعض هذه الفضائل ونختم إن شاء الله –عز وجل–.

فأهل التوحيد وأهل العقيدة الصحيحة هم أولياء الله –عز وجل–: "أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" يونس٦٢:٦٣.

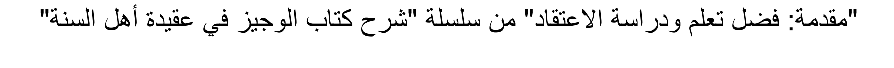
وقال الله –تعالى–: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا" البقرة:٢٥٧، وإذا تولاك الله –عز وجل– فصرت من أوليائه دافع الله –عز وجل– عنك كل عدو لك، قال الله –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" الحج:٣٨.

في الحديث القدسي الذي رواه البخاري وغيره: "مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ". وإذا نظرت في الكتاب العزيز إلى سير الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ورأيت دفاع الله –عز وجل– عنهم، وإنجائه –عز وجل– لهم وإهلاك الكافرين وتعذيب الكافرين رأيت عجبًا في هذا الباب.

كذلك الإيمان يهدي صاحبه إلى الصراط المستقيم "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ" يونس:٩.

كذلك الإيمان يسلي صاحبه عند حصول المصائب، كل إنسان منا لابد أن يبتلى ببعض المصائب من فقد مال أو إصابة بمرض أو فقد حبيب أو فقد أي شيء مما يحبه ويأنس به، فإذا نزلت المصيبة لا يصبر إلا المؤمن، وإذا وردت النعمة لا يشكر إلا المؤمن، وقد قال الله –سبحانه

[٨] أخرجه الترمذي وأحمد
[٩] صحيح ابن حبان
[١٠] صحيح مسلم




وتعالى– في حصول المصائب: "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ" التغابن:١١. وقال الله –عز وجل–: "إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ" النساء:١٠٤.

وإذا تدبرت قصة هاجر أم إسماعيل وكيف كان صبرها بإيمانها، وإلى أم موسى حينما فقدت وليدها وخافت عليه، وغير ذلك من الأمثال والعبر التي ذكرها الله –عز وجل– لسادات المؤمنين والمؤمنات في كتابه.

وكذلك أيضًا المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ وهو أهلٌ لأن ينتفع بالتذكير، قال الله –تعالى–: "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" الذاريات:٥٥. وقال –سبحانه–: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" ق:٣٧.

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقني وإخواني وأخواتي إلى الإقبال على أمور الإيمان والتوحيد نجدده في قلوبنا ونحسن من إسلامنا ونرسخ من إيماننا، ونسأله –سبحانه وتعالى– أن يطهر منا هذه القلوب حتى تأنس بتوحيد الله –عز وجل–، وأن ننبذ عن قلوبنا وجوارحنا وألسنتنا وسائر أمرنا الشرك كبيره وصغيره، نسأله –عز وجل– أن يحبب إلينا الإيمان، وأن يزينه في قلوبنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وإن شاء الله –عز وجل– نبدأ من درسنا القادم كل أربعاء في الساعة الثامنة بعد العشاء إن شاء الله دراسة هذا الكتاب إن شاء الله نتدارسه بإذن الله –تعالى– فيما تيسر من كلمات وحلقات بإذن الله وهذا الكتاب اسمه الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة لمؤلفه الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري وقد اخترت هذا الكتاب لسهولة عبارته ووجازتها وعدم دخوله في كثير من التفريعات التي قد تشق على القارئ والسامع، وكذلك تزكية كثير من أهل العلم المعاصرين وأساطين العلماء لهذا الكتاب وما حواه، وهذا يكفي الإنسان أن يطمئن إلى ما فيه من الخير إن شاء الله –عز وجل–، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

